

# الفجر والرّماد

قصة بقلم فوزي فرج

هلا تفضلت بالجلوس على الصندوق يا بني .. انني أؤثر افتراض الحصر فالصندوق يحدث ندوبا في مقعدي . أنت ولا شك أدري مني وأعلم ولكنك ما زلت حدنا طرير الشاربيين وانا عجزوز طاعن في السن اذكر ما لا تذكر من احدث السنين الفابرات . لقد كان عندنا دواب ومواشي ودواجن في بلدنا ومع ذلك فانسي أقسم لك يا بني اننا لم نكن نسمع بأمراض هذه الايام وأدوائها . لم يكن عندنا طبيب ولا عيادة ولا مستشفى ومع هذا فلا أذكر ان احدا منا لازم الفراش اكثر من يومين او ثلاثة يرا بعدها او يموت . اما في هذه الايام فالصلة تمسك بخناق الواحد منا وتسري في اوصاله دون ان تتركه او تقضي عليه ... ثم يطول الامر به وبها أياما وسنين حتى ليكاد المرء يشك في نفسه أهو حي أم ميت . اذكر يوما كنت فيه في الحقل مع ابن عمي في موسم الحصاد . وكنت أجز بمنجلي سنابل القمح من طرف وابن عمي يجز بمنجله في الطرف الاخر . وبيننا أنا مستغرق في التفكير ندت عن ابن عمي صرخة راعقة تجاوزت لها جنبات السهل الفسيح . وأسرت اليه مهرولا فاذا بجرح فاغر ينز من ساعده ... وجلت بصري بين السنابل فاذا بشعبان لابد ، أقسم لك انه أطول من قامتي مرتين . وما شعرت بنفسي الا وانا انهال عليه بمنجلي ضريا حتى قطعته ثلاث ارب ، ثم عدت الى ابن عمي مسرعا فأمسكت بساعده وعضفت على الجرح الراعف بكل قواي حتى امتلا في دما ... ثم قطعت زناري وشدت ساعده به وقلت له : اذهب الى ذلك المنخفض وخذ قسطا من الراحة في ظل ذلك الكتيب . وهل تدري ماذا كان جوابه ؟ لقد نظر السي مبسما باعياء وقال : سامحك الله يا ابن عمي ، أتريد ان تجعل مني موضوعا للسخرية والتندر بين شبان البلد ؟؟ والله ما أبرح هذا المكان الا حين تقرب الشمس . كانت هذه حالنا مع الاجراع يا بني ... ولسم يكن لنا ملجأ من الداء العصال الا الاستفانة بضريح سيدنا الخضر ... وما كان سيدنا ليرد طلب سائل . أنا أعلم ان جيلكم لم يعد يؤمن بهذه الاشياء بعد ان ذهب الى المدارس والجامعات ، وأنتم في ذلك على حق فالعالم قد تغير ... ولكنني أصدقك القول يا بني ان البلدة كلها شهدت يومذاك ان هذا الضريح قد شفى ثلاثة من المقعدين حملهم ذووهم الى جانب الضريح عند المساء وتركوهم هناك الليل بطوله متهجدين ضارين . وقبل صياح الديكة بلحظات أفاقت البلدة عن بكرة ابيها على الزغاريد وقرع الطبول . واذكر انني هرعت الى حيث الهرج والجلبة ... ولم اصدق عيني ... كانوا ثلاثتهم واقفين يصافحون الناس ويقدمون أكواب الشاي للضيوف وكلهم فرحة وبشر وانباس . ولقد روى لي احدهم عما حدث في تلك الليلة فقال : « كان الوقت قبيل السحر ، وكنت مضطجعا على وسادتي أغالب النعاس بجهد جيد ، فاذا بأصوات تكبر وترتل القرآن واذا بغممة وهممة تملو من كل جانب ، فارتعدت فرانصي وعلا وجيب قلبي وانعد لساني رهبة وفزعا . وفجأة سكن كل شيء

لا تؤاخذني ان نباطات عليك في السير يا بني ، فالدرب وعسر وطويل ، وقدماي كليتان قد استفحل فيهما الروماتزم . وليس لدى الطبيب ما يعطيني الا تلك الاقراص البيضاء المرة المذاق ، تدسهما المرضة في جيبي كلما ذهبت الى العيادة شاكيا متوجعا . وسواء ألم برأسي الصداع او اصابنتي الحمى او القرحة او الروماتزم فالعلاج عند الطبيب لا يتغير ... انها الاقراص البيضاء ذاتها تندس في جيبي كل حين . قد أكون جاهل الرأي قصير النظر ولكنني أقسم لك يا بني ان هذه الاقراص لم تغدني في شيء ولم تخلف في جسمي اي اثر الا ذلك الطعم الكريه في فمي . كان والدي رحمه الله يقول : آخر السدواء الكي . وقسما بتراب قبره انني لم أر دواء انجع من ذلك في حياتي . اذكر ان الطبيب قال لي في اخر مرة أنقلت عليه بشكواي ان علي ان اقع في خيمتي لا ابارحها وان اتلفع طوال الوقت بدثار سميك يقيني فرصات البرد ومعاودة الداء . ولكنه نسي ، حفظه الله ، ان خيمتي تقع عند طرف المخيم وان الريح العانية عندما تهب ، تفتلع ، اول ما تفتلح ، أوتادها الثمانية . لا أراك الله مكروها يا بني ... انها ريح جهنمية خبيثة تصفسر كالشعابين الجائعة وتعوي كالذئاب المفزوعة عند منتصف الليل . أي والله يا بني ... ما زلت اذكر تلك الليلة المشهودة ... نزل فيها المطر حتى انفست ثيابنا بالوحل ... وبعدها جاءت الريح مع المطر ... واشتدت الريح فاصبحت اعصارا اقتلع ثمانين خيمة وأزهق ارواح عشرين طفلا . وفي الصباح رأينا سيارات كيبسرة فخمة تقف عند اطراف المخيم ، وسمعتنا ان مدير وكالة الفوت قد جاء بنفسه متجشما مشاق السفر ليتفقد الاوضاع في المخيم وان لفيءا من المراسلين العرب والاجانب يتجولون بين الخيام ... منهم من يتحدث الى الناس ومنهم من يلتقط الصور لضحايا الاعصار . وكانت هذه هي المرة الاولى التي أرى فيها المخيم زاخرا بالحركة والحياة . ولكن ضيوفنا هؤلاء لم يكتفوا طويلا فعادوا أدرأجهم من حيث أتوا . وبعد مضي اسبوع او يزيد جاءنا جماعة من الانسراب معظمهم من النساء وهم محملون بأنواع غريبة من الملابس شرعوا يوزعونها على الناس . ولست أدري والله من ذا الذي أنبأهم بحاجتنا الى تلك الملابس .

ها قد وصلنا الان يا بني والحمد لله ... أشعر بركبتي تصطكان قليلا كلما قمت بهذه الزيارة لضريح المرحوم . أنت تعرف انني أزوره كل جمعة لآتلو عند ضريحه بعضا من آي الذكر الحكيم ، وليس من سبيل الا قدمي للوصول الى هناك ، فالوكالة قد منعت الناس من اقتناء الدواب رعاية للصحة العامة . ولهذا فالمخيم يعيش على الدوام في سحابة فائمة من الصمت والسكون . وأنت لو جئت ديارنا عشاء لظننت انك في جزيرة خالية الا من الاشباح . فالقوم كلهم هجسع نيام ... وأضواء الفناديل الزيتية خافتة شاحبة ... وليس من نامة في الحي الا صفير الريح وخشخشات القصب ... وقد يخيل اليك ان انفاستنا جميعا نفظ وتصاعد بتدبير واحد .

وطلع علينا شيخ مهيب ذو رداء ناصع البياض وفي يمينه مسبحة تشع بنور اخضر يسبي العيون . ووقف الشيخ لحظات لا ينس ببنت شفة ثم اقترب وربت بمسبخته على كتف كل واحد منا ثلاث مرات . ثم سمعنا صوتا علويا كأنه صادر من السماء يقول : انها ليلة القدر ، خير من الف شهر ... لقد اجيبت دعواتكم ... فاذهبوا الى بيوتكم ولينحر كل منكم شاة يطعمها الفقراء وابناء السبيل ولتذكروا نعمة ربكم عشية وبكورا .

هش عنك الذباب يا بني ... لعن الله الذباب ... يحرمنا صفاء العيش ويزيد حياتنا تنكيذا ... انسي اسمع اذان صلاة العصر فاسمح لي يا بني ... « اعوذ بالله من الشيطان الرجيم ... بسم الله الرحمن الرحيم ... اهدنا الصراط المستقيم ... السلام عليكم ورحمة الله ... » .

أي والله يا بني ... لقد انظر قلبي عندما سمعت من احد الفدائيين ان اليهود قد احوالوا الضريح الى محطة للكهرباء ودورة للمياه ... زمن عجيب ... صحيح اني رجل جاهل ولكني أقسم لك يا بني ان لدي احساسا غامضا بان اليهود يحاربوننا باشيياء كثيرة تتعدى الرصاص والبارود . كانت بلدتنا ايام زمان تعيش امامسها على افاصيص الغيلان والشياطين والاشباح التي تظهر للناس في صور شتى في ظلمة الليل عند المقابر . اما اليوم فلا يصدق هذا الكلام الا الاطفال .

هل لك في قرح من الشاي ؟ أرجو المعذرة لشح الضيافة فالعين بصيرة واليد قصيرة ... تسألني عن سبب وفاة المرحوم ؟؟

انها الادوية الحديثة يا بني ، قاتلها الله ... كان يعمل في بساين الليمون وقد أكلوا اليه مهمة رش الاشجار بذلك الدواء الابيض الكريه ... كان يخلطه بالماء ويرشه من مطلع الشمس حتى غروبها... ويبدو ان شيئاً من الدواء قد تسرب الى جوفه ففسم وكانت هي القاضية . هذه مشيئة الله ... انت لم تر المرحوم في السنوات الاخيرة بعد عودته من الكويت وابلاله من مرضه ... كان انسانا آخر بكل معنى الكلمة ... يعود من عمل يومه الطويل وهو يتصبب عرفا وما ان يأخذ قسطا يسيرا من الراحة حتى يتكب على القراءة والكتابة بهمة لا تعرف الملل . كان دائما يردد بانه سيعوض ما فات وانه لن يبأس ولن يهن . كان قليل الكلام كثير التأمل والتفكير . ولم تكن بنيته قوية ولكنه لم يتوان عن القيام بأشق الاعمال في سبيل اجر اكبر يعينه على تحقيق اهدافه ... ولهذا سافر الى الكويت رغم اعتراضه وتوسلاتي ، ولكن الامر لم يطل به هنالك فعاد صريع المرض . كنت ادعو له بالتوفيق في كل صلواتي ... وكنت احثه دوما على الزواج ... فقد كنت ابقي ملاقة وجه ربي وأنا فريز العين مستيقن بان خلفي سيمسود يوما الى فلسطين ... كنت احلم بذلك كل يوم ... وكنت اريد ان ارى اولاده قبل ان اموت لكي أستطيع ان انخيلهم شبانا يافعين يحرقون ارضي ويجنون غلتها ... يحصدون القمح وينقلونه الى البيادر ... يزرعون الكروم ويسهرون في الحواكير في ضوء القمر . أرجو المعذرة يا بني .. انني لا استطيع مجالدة الدموع احيانا ... لقد شبعتنا اسى ومرارة ... شبعتنا .

## فوزي فريج

عشق كل عربي صريح منة لا تجحد .

### امين ناصر الدين

● انك شاعر العروبة منذ وجد العرب ، فلم يتفق ان وجد شاعر اخلص للعروبة وجاهد في سبيلها وتغزل بفضائلها مثلك .

### احمد الصافي النجفي

● انت ذو روح وثابة ، خدمتها قريحة وقادة وشاعرية عالية ، استطعت ان تترجم بها ما يضييق به صدرك بأفصح اسلوب وابلغ تعبير فجاءت أعاصيرك بما يتعاضى على البلقاء ويتمنى ان يلهم بمثله اشعر الشعراء .

### فارس الخوري

● الله الله للشعر الموفق في اوسع ما يقع معنى التوفيق الشعري . فهنيئاً للعصر بديوانك ، بل للملايين العرب في كل قرار لهم على جنبات المعمور .

### امين نخله

● اعليت شأن الادب في المهجر ، وبيضت وجه العروبة ورفعت قدر البرباره الى مستوى العواصم الخالدات . فلبنان مديون لك بالشيء الكثير .

### بولس سلامه

الثمن ٣٥٠ قرشا لبنانيا

صدر حديثا

دار الاداب تقدم :

## (( الشاعر القروي ))

( رشيد سليم الخوري )  
في ديوانه القومي المنتظر

# العصر

● الشعر الوطني ، الشعر المشرب بروح الوطنية العربية الكبرى ، هو هو الشعر الذي يلزمننا اليوم . وقد جئتنا انت به ، وجئتنا بالحلم بدل الدموع .

### امين الريحاني

● كل حرف من منظومك شواظ من نار ، وكل بيت عريضة يزار فيها اسد غضوب . فلست مبالغا اذا قلت انك شاعر الوطنية الذي لا يتعلق به درن . وان لك في